نظرية التقليد في تفسير السلوك الإجرامي
بين الطرح والنقد

د : سواكري الطاهر

ظهر منذ القرن التاسع عشر نظريات عديدة مفسرة للسلوك الإجرامي، ومن أبرز هذه النظريات، النظرية البيولوجية التي يتزعمها كل من لومبروزو ورافيل جارفليو وإنريكوفيري الذين يفسرون السلوك الإجرامي بالعامل البيولوجي أي أن الإنسان يولد وهو يحمل صفات جسدية ونفسية تجعل منه شخصا مجرما، وامتدادا لهاته النظرية ظهرت النظرية التكوينية حيث يرى صاحب هذه النظرية " دي توليو " " Di Tillio " أستاذ لعلم طبائع المجرم بجامعة روما الذي توصل من خلال ملاحظاته وأبحاثه أن سبب الإجرام يكمن في تكوين شخصية المجرم ، كما يرى دي تيليو " Di Tillio " أن الجريمة صراع بين مقومات الحياة الاجتماعية وبين الدوافع الغريزية الفردية تغلبت فيها النزاعات الأنانية الشريرة على قوة الردع المستمدة من البيئة والقيم الاجتماعية[1].

و هناك أيضا النظرية النفسية والتي من أهم روادها فرويد والذي يفسر السلوك الإجرامي بضعف الأنا الأعلى والتي لا تستطيع أن تكبح أو تسيطر على نزاعات الهو، والأشخاص الذين يفتقرون إلى الأنا الأعلى متطورة غالبا ما يطلق عليهم بالسايكوباثولوجي " Psycopathe " وأوالسوسيوباثولوجي "Sociopathe " أي المرضى النفسيين أو الاجتماعيين.[2]

و تعتبر نظرية التقليد في تفسير السلوك الإجرامي من أهم النظريات السوسيولوجية حيث يرى صاحب هذه النظرية قبريال تارد (Gabriel Tard) أن

(1) القهوجي علي عبد القادر : **علم الإجرام والعقاب**، الدارالجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 985 ، ص 52 .

(2) عايد عويدات الوريكات : **نظريات علم الجريمة**، دار الشروق للنشروالتوزيع، الأردن، 2004 ، ص 119.

التقليد هو العامل الأساسي في ظهور السلوك الإجرامي ، وتجب الإشارة أن هناك علماء سبقوا تارد في هذا الطرح حيث يعتبر الطبيب المختص في الأمراض العقلية إجيزت ليزل (Egiste lisle) من العلماء الأوائل الذين أكدوا على تأثير غريزة التقليد في ظهور السلوك الإجرامي في الكتاب الذي نشره في سنة 1856 حول الإنتحار ، فقد كتب ليزل أن سيندهام (Sydenham) صرح في سنة 1697 أنه تم تسجيل عدد كبير من حالات الإنتحار في مدينة منسفلد (Mansfled) خلال شهر جوان الذي تخللته درجة حرارة مرتفعة ، ويتضح من هذه الفكرة أن سيندهام ربط بين فكرتي التقليد والعامل الجغرافي في تفسير موجة الإنتحارات التي شهدتها هذه المدينة [1] ، وهو نفس الطرح الذي تبنته النظرية الجغرافية – الاجتماعية الذي يعتقد أنصارها بوجود علاقة غير مباشرة بين السلوك الإجرامي وبين درجة الحرارة إرتفاعا وإنخفاضا ، حيث أبرز جيري (Gerry) العلاقة الموجودة بين المناخ وفصول السنة من ناحية والسلوك الإجرامي من ناحية أخرى ، كما بين الارتباط بين التوزيع الجغرافي في السلوك الإجرامي وبين العوامل السياسية والاقتصادية والإجتماعية والكثافة السكانية ، كما أكد كيتليه (Quételet) على أن الحرارة والبرودة في الطقس لها تأثير على السلوك الإجرامي لكن بتدخل الوسط الاجتماعي والظروف التي يمر بها المجتمع[2] ، ويظهر أن كل من جيري وكيتليه لا يكتفيان بالعامل المناخي في تفسير السلوك الإجرامي حيث يضيفان له الظروف الإجتماعية والإقتصادية التي يعيش فيها الأفراد في مناخ معين .

ويضيف ليزل " lisle " أن في مدينة شوتغرات الألمانية (Stuttgrat) في صيف 1811 تم تسجيل ارتفاع عدد الإنتحارات نتيجة التقليد وتحت تأثير دائما درجة الحرارة ، الشيء الذي سبق ملاحظته في مدينة روان (Rouen)و يرى ليزل " lisle " أنه يمكن أن نفسر الانتحار بغريزة التقليد بإتحادها مع عامل الحرارة أو الحلم بالمال والثروة[3] ، بمعنى أن الإنسان الذي يحلم ببناء ثروة ويعجز في ذلك قد يلجأ إلى وضع حدا لحياته ، وقد لاحظ سان موريس (Saint – Maurice) وجود عدوى في الانتحار سنة 1813 في قرية سانت بيار

(1)Egiste lisle : **Du suicide, statistique, médecine, histoire et législation**, JB. Bailliere, paris, 1856, p 454.

(2)القهوجي علي عبد القادر : مرجع سبق ذكره ، ص 67 .

(3)Egiste lisle: Opcit , p 454 .

(Saint Pierre) حيث نتحر عدد كبير من النساء شنقا وهذا بعد انتحار إمرة بواسطة نفس الوسيلة إقتداءا بها ، وفي الهند انتحر الآلاف من الهنود بواسطة الحبل المتدلي في الأشجار وقد ساد الاعتقاد في هذه الفترة أن الإله سلمهم إلى روح شريرة من أجل معاقبتهم[1]، ويرى ليزل " lisle " ليزل أن كل الكتابات التي تناولت ظاهرة الانتحار تتفق على وجود انتشار عدوى غير مفهومة لموجة الإنتحارات في مناطق مختلفة ، ويرى أن هناك تأثير يصعب تفسيره للجو والمناخ على الانتحار ويعتمد العلماء في تفسير هذه الظاهرة على مجموعة من الأدلة والبراهين حيث يكثر الانتحار خلال الفترات التي تتميز بالحرارة الشديدة ويفسر بعض الآخر غريزة التقليد في الانتحار بالاضطرابات السياسية والحروب وهذا عكس ما لاحظه إميل دور كايم أن في الحروب ينخفض معدل الانتحار ، وفي اعتقادهم كذلك أن الإنتحار يكثر في فترة المجاعة الطويلة ويقدم الطبيب ليزل " lisle " مثالا آخرا أن بعد انتحار جندي في محرسة (Guérite) اختار بعض الجنود نفس المحرسة لكي ينتحروا تقليدا للجندي المنتحر[2]. ويرى ليزل " lisle " أن الميل للانتحار أصبح ينتقل من شخص لآخر نتيجة عدوى بنفس الطريقة التي تنتقل فيها العدوى في بعض الأمراض المعدية ، ونستنتج من هذه الأفكار أن الطبيب ليزل " lisle " أرجع التقليد في الانتحار إلى عوامل مناخية كارتفاع درجة الحرارة وإلى عدم القدرة على جمع الثروة والمال وإلى الاضطرابات السياسية والحروب وفترة المجاعة الطويلة أو حتى إقتداء بشخص انتحر . لكن الملاحظ أن الطبيب ليزل " lisle " لم يعطي تفسيرا لهذا التقليد أي كيف يحدث في الانتحار حيث يبقى غامضا بالنسبة إليه ويحتاج إلى تفسير أعمق حيث سيزول هذا الغموض نسبيا مع عالم الإجرام قبريال تارد (Gabriel Tard) الذي يتفق مع لاكساني (Lakssani) في إرجاع السلوك الإجرامي إلى الوسط الاجتماعي إلا أنه يبحث في تأثير هذا الوسط على الفرد ، حيث يرى تارد أن « غالبية مرتكبي جرائم القتل أو السرقة لم يخضعوا لإشراف أو رقابة منذ طفولتهم ، وإنما تركوا لأنفسهم ، فكانت المدرسة الحقيقية بالنسبة لهم هي الشارع[3]» . وأصبحوا مجرمين لا لأنهم يتميزون بملامح عضوية وجسدية تختلف عن غيرهم كما يزعم لومبروزو(Lombroso) وإنما لأنهم

(1)Egiste lisle: Opcit , p 455 .
(2)Ibid , p 455.

(3) القهوجي علي عبد القادر : مرجع سبق ذكره، ص 83 .

اختاروا الإجرام كسلوك جوهري في حياتهم اليومية ، ويرجع تارد السلوك الإجرامي إلى عامل نفسي واجتماعي هو التقليد والمحاكاة ، والإجرام من وجهة نظره « مهنة يتعلمها الطفل من البيئة التي تحيط به وذلك عن طريق محاكاة المجرمين من أهله وعشيرته أو أقرانه أو أصدقائه[1] » وهكذا يؤكد فكرته بأن السلوك الإجرامي خلق يتطبع الشخص عليه اجتماعيا منذ الصغر وسيرى هذا الخلق بين أفراد المجتمع متبعا قانون التقليد.

وترى نظرية التقليد أن السلوك الإجرامي ما هو إلا سلوك اجتماعي مكتسب بواسطة المحاكاة والتقليد والتي من خلاله يتم تعلم السلوك المنحرف والإجرامي ويقول تارد (Tard) في هذا الصدد أنه لابد من وجود مثال أو قدوة لأي نمط من أنماط السلوك الاجتماعي يسعى الفرد لتقليده ، فالمجرم يجد مثالا أو نمطا في مجرم آخر يقلده في سلوكه[2].

وهنا نلاحظ مدى تشابه فكرة التقليد عند ابن خلدون وتارد حيث نجد أن بن خلدون قد سبق تارد إلى فكرة التقليد عند وضعه النظرية القائلة « المغلوب مولوع أبدا بالإقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده [3]» .

و هنا التقليد عن ابن خلدون لا يقتصر على السلوك الإجرامي بل هو أشمل وأعمق إذ المغلوب يرى في الغالب نموذجا يأخذ به كليا وهذا يمكن أن نطبقه على المجرمين والمنحرفين إذ يعملون على تقليد إما بعض أفراد أسرهم كالأولياء والإخوة أو الزملاء من جماعة الرفاق ، فالطفل الذي يعيش في بيئة عنيفة وأفرادها يتميزون بالسلوك العنيف والعدواني له أكبر فرص في أن يصبح بدوره عنيفا وعدوانيا وهذا بتقليد بيئته الاجتماعية والثقافية وهذا الطرح نجده يتقاسمه العديد من الباحثين خاصة المدارس النفسية والاجتماعية[4].

---

(1) الساعاتي حسن سامية : **الجريمة والمجتمع**، بحوث في علم الإجتماع الجنائي، دار النهضة العربية، لبنان، 1983 ، ص 100 .

(2) حسون تماضر زهدي : جرائم الأحداث في الوطن العربي، مركز الدراسات والبحوث بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1994 ، ص 43 .

(3) ابن خلدون : المقدمة ، دار الفكر ، بدون بلاد ، بدون سنة ، ص 174 .

(4) معتوق جمال : مدخل إلى علم الإجتماع الجنائي، أهم النظريات المفسرة للجريمة والإنحراف، دار بن مرابط للنشر والطباعة، الجزائر، 2008، ص 216 .

ويرى تارد أن العلاقات الاجتماعية ليست سوى علاقات متشابكة بين الأفراد وأنه لهذا السبب هؤلاء الأفراد يتحكم فيهم هذا الواقع الاجتماعي الذي هو التقليد، وعن طريق هذا التقليد يمكن تفسير دور بعض المظاهر النفسية مثل التعود والتذكر فالشخص بحكم العادة يقلد نفسه في مواقف سابقة كما يقلد غيره ويساعده على هذا التقليد الذاكرة التي تعينه على إسترجاع المواقف السابقة[1].

وأوضح تارد (Tard) على وجود لغة تخاطب خاصة (Argot) بين المجرمين والمنحرفين وإشارات صداقة (Tatouage) وقوانين تعاون بينهم ، ومن خلص تارد (Tard) إلى أن السلوك الإجرامي إما أن يكون قد نبع من حرفة عادية شريفة (مثل الرشوة من احتراف الشخص أعمال حكومية وإدارية) أو أن يشكل في حد ذاته حرفة منظمة [2].

ويرى تارد (Tard) أن أعمال الإنسان وتصرفاته – أيا كانت - مصدرها القدوة ، فالإنسان قد يقلد نفسه بحكم العادة أو عن طريق التذكر وقد يقلد غيره ، وظاهرة التقليد هذه عامة في كافة المجتمعات وتختلف تبعا لاختلاف العلاقات بين الأفراد ، ففي المجتمعات الكبيرة حيث تتعدد العلاقات وتتشابك المصالح تبدو ظاهرة التقليد واضحة ومتجددة بعكس المجتمعات الصغيرة ، من اجل هذا تختلف الجريمة باختلاف المجتمعات ، ففي المجتمعات الكبيرة يكثر عددها وتتعدد صورها أما في المجتمعات الصغيرة تكون الجريمة أقل انتشارا ثابتة كما ونوعا[3].

ولقد صاغ تارد (Tard) ثلاثة قوانين للتقليد : الأول أن الأفراد يقلدون بعضهم البعض بصورة أكثر ظهورا كلما كانوا متقاربين والثاني أنه في الغالب يقلد المرؤوس رئيسه الأعلى والثالث أنه في حالة تعارض الأذواق والموديلات فإن الإنسان يقلد الحديث منها دون القديم[4].

---

(1)الشاذلي فتوح عبد الله: **دراسات في علم الإجرام – الظاهرة الإجرامية تفسيرها وعواملها** – دار المطبوعات الجامعية، مصر، 2001 ، ص 129 .

(2)صدقي عبد الرحيم : **مبادئ علم الكريمونولوجي – علم الإجرام في الفكر الحديث** – دارالمعارف ، مصر، 1975، ص 32 .

(3) القهوجي علي عبد القادر : مرجع سبق ذكره ، ص 73 .

(4) نفس المرجع ، ص 73.

والواقع أن دور التقليد في تحديد تأثير الوسط الاجتماعي على الفرد دور أساسي ولكن القول أن الفرد يقوم بالسلوك الإجرامي لأنه يقلد غيره ويحاكيه في سلوكه هو قول ينطوي على مبالغة إذ أن التقليد ليس العامل الوحيد الذي يفسر السلوك الإجرامي[1].

كما لم يكشف تارد (Tard) عن الدوافع التي تدفع الناس إلى التقليد نفسه ، كذلك لم يذكر تارد (Tard) ما إذا كان التقليد شعوري أو غير شعوري أو بمعنى آخر إرادي أو غير إرادي[2]، وإذا كان التقليد يصلح لتفسير بعض السلوكات الإجرامية لكنه لا يصلح لبعض السلوكات الإجرامية الأخرى .

يضاف إلى هذا أن ظاهرة التقليد التي استعان بها تارد (Tard) لا تقدم تفسيرا عن نشأة التصرف الأول الذي تم تقليده ، كما أن بعض الأفراد لم تكن بدايتهم مع السلوك الإجرامي بواسطة التقليد بل لعوامل أخرى كالمعاناة من الفقر أو عدم وجود فرص العمل أو من أجل بناء الثروة .

وإذا كان إميل دور كايم (Emile Durkhiem) يرفض فكرة التقليد في تفسير السلوك الإجرامي بالخصوص الانتحار إلا أنه لا يشك في أنه يمكن أن ينتشر الانتحار عن طريق العدوى من شخص لآخر ويقدم دور كايم بعض الأمثلة في هذا المجال وهي نفس الأمثلة التي قدمها الطبيب ليزل " lisle " حيث انتحر عدد كبير من الجنود وفي نفس الوقت المحرسة التي انتحر فيها زميلهم ، كما انتحر في قرية سان – بيار مونجو (Saint Pierre Monjeau) في سنة 1813 عدد كبير من النساء بنفس الوسيلة التي انتحرت بها إحدى النساء وهي الشنق بواسطة الحبل المتدلي في شجرة[3]. لكن دور كايم لا يرجع هذه العدوى في الإقبال على الإنتحار إلى عامل التقليد بل يرجعه إلى الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه هؤلاء المنتحرين ، كما يرى دور كايم أن هذه العدوى يمكن أن تنتقل من شخص لآخر لكن في المقابل لا يمكن أن نفسر معدلات

(1) الشاذلي فتوح عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص 130.

(2) الساعاتي حسن سامية: مرجع سبق ذكره، ص 100.

(3)Emile Durkhiem : **le suicide** , puf, France, 1930, p 116.

الانتحار للمجتمعات بعامل التقليد[1]، وبالتالي لا يعتبر التقليد السبب الرئيسي لظاهرة الانتحار .

وفي هذا السياق ظهر نقاش فكري بين كل من تارد (Tard) ودور كايم Durkhiem حول فكرة التقليد حيث يرى تارد (Tard) أن دور كايم لم يفهم القصد من فعل التقليد إذ صرح أنه لم يقصد ذلك الإنسان السّوي الذي يعيش سعيدا والقانع بحياته وعندما يرى الآخرين ينتحرون فإنه يضطر إلى تقليدهم وإنما يقصد به ذلك الإنسان التعيس أو المريض الموجود في نفس الظروف التي دفعت بالآخرين الذي يقاسمونه هذه الظروف إلى الانتحار وبالتالي يقلدهم بلجوئه إلى نفس السلوك ، هنا التقليد يلعب دورا إضافيا للظروف التي يعيشها هذا الشخص لكنه عامل ضروري للقيام بفعل الانتحار[2].

وحسب تارد (Tard) أنه بالرغم من المعاناة التي كان يعيشها الناس في العصور الوسطى إلا أنهم كانوا أقل ميلا للانتحار ويفسر دوركايم هذه الحالة بتحريم العقيدة المسيحية للانتحار في هذه الفترة وكذا الرقابة الشديدة التي كانت تمارسها على الأفراد إلى درجة أنه . كان من النادر أن يلجأ الفرد إلى قتل نفسه ، ولكن يتساءل تارد (Tard) أليس هناك عدوى في التقليد أكثر ما هو موجود في الشعائر الدينية[3]؟ .

ويتساءل تارد (Tard) مرة أخرى أنه كيف لدور كايم أن يستثني المقاطعات الثلاث وهي رينان (Rhenane) ، بافاريا (Baviére) وبوسناني (Posnanie) من مجموع مقاطعات ألمانيا التي ترتفع فيها معدلات الانتحار بدرجة ملحوظة ، ويفسر دور كايم هذا الانخفاض في معدل الانتحار إلى الانتشار الواسع للمذهب الكاثوليكي فيها ، إذن فموجة الإنتحارات السائدة في ألمانيا لا يمكن أن تنتقل إلى هذه المقاطعات الثلاث ، ثم يتساءل تارد (Tard) لماذا هذه المقاطعات الثلاث تنتشر فيها الكاثولوكية أكثر من المقاطعات الأخرى في ألمانيا ؟ ، حيث يرى تارد أنه من المؤكد أن أبناء هذه المقاطعات الثلاث هم كاثولوكيين لأن أبائهم هم في الأصل كاثولوكيين [4].

(1)Ibid, p 134 .
(2)Gabriel Tard : « contre Durkhiem a propos de son suicide », in Massino Barlandi et Mohamed cherkaoui : **Le suicide un siècle après durkhiem**, PUF, France, 2000, p 25 .
(3)Ibid, P26.
(4)Ibid, P26.

إذن تارد يريد أن يؤكد لدور كايم أن هناك تقليد في ممارسة الشعائر الدينية المنتشرة بين الكاثولوكيين والتي تنتقل من الآباء إلى الأبناء بواسطة التقليد .

ومن العلماء الذين فسروا السلوك الإجرامي بعامل التقليد نجد العالم بندورا (Bandura) حيث يرى أن السلوك الإجرامي والعدواني متعلم من خلال الملاحظة والتقليد بحيث يقلد الطفل نماذج السلوك العدواني الصادرة عن أشخاص ذوي مركز اجتماعي عال، ويرى أن هناك أشخاص مهمين في حياة الطفل مثل الوالدين والمدرسين والرفاق يمكن اعتبارهم نماذج يستقي منها الطفل سلوكه الاجتماعي بصفة عامة وسلوكه العدواني بصفة خاصة[1].

و يفترض بندورا (Bandura) أن المشاهدة لوسائل الإعلام المرئية لديه القدرة وإمكانية تعلم السلوك المنحرف والإجرامي عند الطفل والمراهق .

إن البرامج التلفزيونية تجذب الانتباه وتسيطر على التفكير وتشغل الطفل لمدة طويلة حيث يحاول أن يقلد بعض الأبطال الذي يشاهدهم في الأفلام حيث صرح أحد علماء الاجتماع " إنني لا أقترح وجود صلة مباشرة مع التلفزيون إلا مما لا يمكن تصوره عدم وجود أي تأثير"[2]، حيث تتضمن بعض البرامج التلفزيونية بعض الأفكار التي تعتبر خرقا لقيم وتقاليد المجتمع قد تمهد للأطفال طريق الانحراف .

والشيء الخطير الذي يوجد في الأفلام التي تعرض مشاهدها التي تختلف عن التي يمارسها الإنسان في حياته اليومية فضلا عن إسرافها في البعد عن واقع حياة الناس وكذا تمجيد البطولات الفردية وغير ذلك من الموضوعات التي تدور حول الغش والخديعة والانحلال .

وقد أشار بندورا (Bandura) أن تعلم السلوك الإجرامي يتم من خلال ملاحظة وتقليد نماذج أخرى ، وهنا النموذج المقتدى به هو المسؤول عن طبيعة ونوعية سلوكات الفرد .

ومن الإسهامات النظرية في ميدان علم الاجتماع الجريمة نجد نظرية المخالطة الفارقة لصاحبها سوندرلاند (Struterland) الذي يبدو أنه تأثر بنظرية التقليد عند تارد (Tard) حيث يرى سوندرلاند (Struterland) أن التفسير العلمي للسلوك الإجرامي قد

---

(1) معتوق جمال، مرجع سبق ذكره، ص 144.

(2) ماري وين: **الأطفال والإدمان التلفزيوني**، ترجمة: عبد الفتاح صبحي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999، ص 117.

يتقرر إما من واقع العمليات التي تجري وقت حدوث الجريمة وإما من واقع العمليات التي تتم في التاريخ السابق للجرم وفي الحالة الأولى قد يسمى التفسير ميكانيكيا أو موقفيا أو حركيا وفي الحالة الثانية يسمى تاريخيا أو تكوينيا ، وكلا النوعين من التفسير مرغوب فيه ، وحسب سوندرلاند أن التفسيرات الإجرامية من النوع الميكانيكي بعيدة عن النجاح بشكل ملموس ، وقد يرجع هذا إلى أنها صيغت مرتبطة مع محاولة لعزل الأمراض الاجتماعية والنفسية والشخصية بين المجرمين والعمل، من وجهة النظر هذه قد انتهى على الأقل إلى أن العامل الفوري المقرر للسلوك الإجرامي يكمن في مركب موقف الشخص أما الموقف الموضوعي فإن أهميته بالنسبة إلى الإجرام تصل إلى حد أنه هو الذي يهيئ الفرصة للعمل الإجرامي ، فقد يسرق لص من دكان شيء ما عندما لا يجد البائع أمامه ولكنه يكف عن هذا لو شاهد البائع ولكن في معنى آخر – معنى اجتماعي ونفسي – فإن الوقف لا يستبعد الشخص لأن الموقف مهم هو الموقف كما يحدده الشخص الذي يتضمنه ، فبعض الأشخاص يرون غياب البائع عن الدكان موقف إلى ارتكاب السلوك الإجرامي (السرقة) في حين لا يراه آخرون هكذا.

وفوق هذا لا يمكن فصل أحداث موقف الشخص عن حدوث الجريمة عن تجارب الحياة السابقة للمجرم ، وهذا يعني أن الشخص يحدد الموقف وفقا للميول والمهارات التي اكتسبها حتى لحظة الموقف ، فمثلا إذا أمكن أن يحدد الشخص الموقف على وجه الذي يكون فيه السلوك الإجرامي هو النتيجة الحتمية ، فإن تجاربه السابقة هي التي سوف تحدد إلى أي مدى تعبد الطريق الذي حدد يه موقفه ، وتفسير السلوك الإجرامي من واقع التجارب السابقة هو تفسير تاريخي وتكويني والفقرة التالية تبين نظرية تكوينية للسلوك الإجرامي كما يحدده الشخص ، وفي رأي سوندرلاند أن السلوك الإجرامي يمر بمراحل معينة :

1) السلوك الإجرامي يتعلم وهذا يعني – نفيا – أن السلوك الإجرامي كما هو لا يورث ، فالشخص الذي لم يدرب على الجريمة لا يبتدع سلوكا إجراميا ، فالشخص الذي لم يتحصل على التعليم الإجرامي لا يقع في حمئة الجريمة وفي رأي سوندرلاند الجريمة لا تخترع[1].

(1) القهوجي علي عبد القادر: مرجع سبق ذكره، ص 81.

2) السلوك الإجرامي يتعلم بالتداخل مع أشخاص آخرين في عملية اتصال سواء القول أو الإشارة أو التقليد ، ويظهر هنا مدى تأثر سوندرلاند بفكرة التقليد التي ناد بها قبريال تارد فبدون الاحتكاك بالآخرين لا تحدث عملية تعلم السلوك الإجرامي وهنا دليل آخر لرفض سوندرلاند لفكرة المجرم المطبوع .

3) الجزء الأساسي في تعلم السلوك الإجرامي يحدث في نطاق جماعات الأشخاص ذات العلاقات الودية الوثيقة وهذا يعني نفيا كذلك أن وسائل الإعلام كالسينما والصحف تلعب دورا ضئيل الأهمية نسبيا في نشر السلوك الإجرامي[1] .

4) حينما يتعلم السلوك الإجرامي فإن التعليم يتضمن:

(أ) في ارتكاب الجريمة، الذي يكون أحيانا في منتهى التعقيد وفي بعض الأحيان في غاية البساطة.

(ب) الاتجاهات الخاصة للدوافع والميول والتصرف وتبرير التصرف.

5) الاتجاه الخاص للدوافع والميول يتم تعلمه من تعاريف النصوص القانونية مناسبة أو غير مناسبة ففي بعض الجماعات يحاط الفرد بأشخاص يحترمون النصوص القانونية ، وفي جماعة أخرى يحيط الفرد أشخاص ينتهكون النصوص القانونية ، ونلاحظ هنا أن سوندرلاند يوافق سلين (Sellin) ، إذ لا تتوافر بالنسبة للفرد ينتمي إلى الجماعات الأولى .

6) ينحرف الشخص حين ترجع له كافة الآراء التي تجند انتهاك القوانين على كافة الآراء التي لا تجند انتهاكها ، ويصبح الشخص مجرما عندما تغلب عوامل مخالفة النصوص القانونية على عوامل احترام هذه النصوص ، هذا هو مبدأ المخالطة المتفاوتة كما يراه سوندرلاند فالمراحل السابقة يمر بها كل أفراد المجتمع مجرمين وغير مجرمين كما تنطبق على جميع المسالك الإنسانية الإجرامية وغير الإجرامية .

فالشخص يصبح مجرما حينما يكون على اتصال بنماذج إجرامية ولا يكون تحت عينيه نماذج عادية أو غير إجرامية وبعبارة أخرى كل فرد يتشبع بثقافة الوسط

(1) سوندرلاند أوين ، وكريسي رونالد : **مبادئ الإجرام** ، ترجمة محمود الساعي ، مكتب الأنجلو المصرية ، مصر ، 1968 ، ص 101 .

المحيط به[1]، وحسب سوندرلاند أن الأشخاص يصبحون مجرمين لاتصالهم بنماذج إجرامية من جهة وبسبب عزلهم عن النماذج التي تقاوم الجريمة .

7) وقد تختلف العلاقات التفاضلية في تكرارها واستمرارها وأسبقيتها وعمقها، وهذا يعني أن العلاقات بالسلوك الإجرامي وكذلك العلاقات بالسلوك المعادي للجريمة تختلف من هذه النواحي والتكرار والاستمرار كأمثلة للعلاقات واضحة ولا تحتاج إلى تفسير.

و بالرغم من هذا كله لا يبدو أن نظرية التقليد في تفسير السلوك الإجرامي بمنجاة من النقد حيث لم توضح هذه النظرية العوامل التي أدت إلى تطور العدد من أنماط السلوك الإجرامي في الوقت الراهن ولم تكن معروفة في الماضي .

إن التقليد كعامل لا يمكن أن نفسر من خلاله السلوك الإجرامي ، فكم من شخص قام بسلوك إجرامي بدون أن يقلد شخصا آخر أو تعلمه من الجماعة التي اختلط بها طوعا أو كراهية فلماذا أبدا الأول أو المتعلم منه ذلك السلوك الإجرامي ؟ هنا يتضح أن نظرية التقليد تشرح وضعا ثابتا ولا تراعي أن ظاهرة الجريمة مثلها مثل الظواهر الاجتماعية عرضة للتغير بتغير المجتمع ، كما أنه لا يمكن أن نفسر السلوك الإجرامي بعامل التقليد فقط بل هناك عوامل جديدة تتدخل في تحديد هذا السلوك منها الأوضاع النفسية ، الاجتماعية ، السياسية ، الثقافية والاقتصادية للأفراد.

(1)القهوجي علي عبد القادر: مرجع سبق ذكره، ص 82.

المراجع:

1. ابن خلدون : **المقدمة**، دار الفكر، بدون بلاد، بدون سنة .
2. حسون تماضر زهدي : **جرائم الأحداث في الوطن العربي**، مركز الدراسات والبحوث بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1994.
3. الساعاتي حسن سامية : **الجريمة والمجتمع**، بحوث في علم الإجتماع الجنائي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1983.
4. سوندرلاند أوين، وكريسي رونالد : **مبادئ الإجرام**، ترجمة محمود الساعي، مكتب الأنجلو المصرية، مصر، 1968 .
5. الشاذلي فتوح عبد الله: **دراسات في علم الإجرام – الظاهرة الإجرامية تفسيرها وعواملها** – دار المطبوعات الجامعية، مصر، 2001 .
6. صدقي عبد الرحيم : **مبادئ علم الكريمونولوجي – علم الإجرام في الفكر الحديث** – دارالمعارف، مصر، 1975.
7. عايد عويدات الوريكات : **نظريات علم الجريمة**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004.
8. القهوجي علي عبد القادر : **علم الإجرام والعقاب**، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، 1985.
9. ماري وين: **الأطفال والإدمان التلفزيوني**، ترجمة: عبد الفتاح صبحي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999.
10. معتوق جمال : **مدخل إلى علم الإجتماع الجنائي**، أهم النظريات المفسرة للجريمة والإنحراف، دار بن مرابط للنشر والطباعة، الجزائر، 2008 .
11. Egiste lisle : **Du suicide , statistique , médecine , histoire et législation** , JB. Bailliere , paris , 1856.
12. Gabriel Tard : contre Durkhiem a propos de son suicide , in Massino Barlandi et Mohamed cherkaoui : **le suicide un siècle après durkhiem** , PUF, France , 2000.
13. Emile Durkhiem : **le suicide** , puf, France, 1930.